

باب الكتب الجديدة

أسس الصحة النفسية — للدكتور عبد العزيز القوصى . مطبوعات معهد التربية للمعلمين ،
القاهرة ١٩٤٥ — الطبعة الثانية ١٩٤٦ ، ٥١١ ص .

يقدم لنا المؤلف في هذا السفر الضخم خلاصة البحوث والملاحظات التي قام بها منذ عشر سنوات في العيادة الطبية السيكولوجية الملحقة بمعهد التربية للمعلمين، وفي مكتب الخدمة الاجتماعية لمحكمة أحداث القاهرة . وهذا ما يطبع الكتاب بطابع خاص ممتاز : طابع الجهود الشخصى الذى بذله عالم مصرى يستمد مواد كتابه من دراسته المتواصلة لجانب من جوانب البيئة المصرية . ولهذا يعتبر كتاب الدكتور القوصى بحق حداً يفصل بين عهدين في تاريخ الدراسات السيكولوجية التطبيقية في مصر : عهد كان المؤلفون في علم النفس يكتفون بنقل ما ورد في الكتب الأجنبية ، سواء أفهموا ما ينقلون أم لم يفهموا ، وعهد تمصير علم النفس لاتعريبه فحسب — وذلك بتدعيم النظريات وتوضيحها بتحليل الحالات التي يعرض لها الباحث المصرى في بيئته . ولا يسعنا إلا أن نهنيء الدكتور القوصى بهذا الأثر العظيم — العظيم في قيمته العلمية كما أنه عظيم في فائدته التطبيقية — وأن نشكره على هذه التحفة الرائعة التي قدمها إلى كل من يحرص على تقدم الدراسات السيكولوجية في مصر تقدماً فعلياً منتجاً .

ويلخص لنا المؤلف في مقدمته مضمون الكتاب فيما يلى :

« وقد جمعت نتائج كل هذه الخبرة في هذا الكتاب الذى جاء مشتملاً على ثلاثة أجزاء : يشمل الجزء الأول القواعد العامة للصحة النفسية ، وأغلبها قواعد نظرية مدعمة بالأمثلة العملية المشتقة من الحالات التي درسناها ، بما في ذلك أثر الناحية الصحية وأثر الوراثة ، كما يشمل نزعات الطفل القطرية ، وتعديل هذه النزعات مما يؤدى إلى تكوين خلقه وعواطفه .

« أما الجزء الثانى فإنه يشمل بيئة الطفل الاجتماعية ، وقد قسمنا هذه إلى جزئين : البيئة المنزلية بما فيها من والدين وإخوة ، والبيئة المدرسية بما فيها من تلاميذ ومعلمين .

« والجزء الثالث يشمل بعض المشكلات التي تعرض للآباء والمعلمين والقائمين على تربية الأطفال وتدرجنا في شرح كل هذا ، مبتدئين بالمشكلات الأولى من نوم وتغذية ، وبيننا أسبابها وآثارها النفسية ، وأهميتها في نشأة الفرد ، وتدرجنا إلى مشكلات الطفولة المتأخرة ، ثم إلى مشكلات المراهقة ، ففرضنا للمشكلات الجنسية ، ثم ختمنا الكتاب بفصل عن التربية الجنسية ، اكتفينا فيه بعرض عام لما يجب أن يعمل ، وبيّنا تفصيلى عما يعمل في الخارج مما يمكن أن نسميه التربية الجنسية المقصودة . ولعل دراسة ما يعمل في الخارج قد توحى بما يمكن عمله في مصر . »

أما تفصيل المشكلات فهو كالآتي : التغذية ، النوم ، التبول اللاإرادي ، الحركات ، العصبية ، صعوبات النطق ، الخوف وضعف الثقة بالنفس ، الكذب ، السرقة ، الميل للاعتداء والتشاجر ونوبات الغضب ، التخريب ، الغيرة ، التأخر الدراسي ، وأخيراً المشكلات الجنسية والتربية الجنسية .

يكفي هذا السرد البسيط لأهم موضوعات الكتاب لإعطاء فكرة إجمالية عن ثرائه وغزارة مادته ، فضلاً عن أن الدكتور القوصي تناول علاج المشكلات باعتداله الجميل وحكمته الهادئة وروحه الواقعية ، منتقياً من أهم النظريات السديدة في العلاج النفسي ما يوافق كل حالة ، شاعراً من جهة بمدى تعقد الحالات النفسية ، وعالماً من جهة أخرى أن كل نظرية في علم النفس ، مهما بعد الشق بينها وبين النظريات الأخرى ، ليست سوى محاولة لسبر غور الحياة النفسية ، ووسيلة ناجحة لمعالجة بعض الحالات دون غيرها .

وإذا أضفنا إلى توفيق المؤلف في عرض المشكلات ، ما أتحفنا به من عرض شائق ، في الجزء الأول النظري ، لموضوعات الوراثة والبيئة ، وصلة الجسم بالنفس ، والغرائز ، والعواطف ، وتكامل الشخصية ، لجدر بنا أن نعتقد « أن الكتاب بهذه الصورة يفيد طلاب علم النفس على اختلاف أنواعهم وطلاب معاهد المعلمين والمعلمات ، ويفيد الآباء وكل من له صلة قربية أو بعيدة بتربية الأطفال ومعاملتهم والإشراف على أمورهم . »



ومما يزيد من فائدة هذا الكتاب ثبت المصطلحات الواردة فيه . وقد بذل الدكتور القوصي في اختيارها مجهوداً كبيراً ، وفق فيه إلى حد بعيد ، غير أننا نرى من واجبنا العلمي وخدمة للقراء أن نصصح بعض الأخطاء التي وقعت سهواً بلا شك ، وأن ندلي ببعض ملاحظات عابرة عن مصطلح أو اثنين من المصطلحات التي تتصل معانيها بحقائق علمية هامة .

أما الأخطاء التي وقعت سهواً والتي لم تصحح في الطبعة الثانية التي ظهرت أخيراً فهي الآتية :

ما يسميه المؤلف التناقض الوجداني ليس ambivalency بل ambivalence ، وإن كان يقال في علم الكيمياء valence أو valency ، غير أن الكلمة الواردة في كتب التحليل النفسي هي ambivalence فقط .

وقع خلط بين anabolism و catabolism فالأولى تفيد عملية البناء الحيوي لا الهدم ، في حين أن الثانية تفيد على العكس عملية الهدم الحيوي لا البناء .

وترجم لفظ lalling بلثغة (قلب الرء لآمآ) في حين أن هذا اللفظ لا يفيد القلب بل تكرار الصوت أو اللفظ عينه كما هو مشاهد خاصة في الرضيع وفي حالات العته .
وتفيد urethral inflammation التهاب مجرى البول في الذكور والإناث معاً .
أما vulvo - vaginitis فلا تفيد التهاب مجرى البول في الإناث ، بل التهاب الشفرين والمهبل .

وفي صفحة ٧٣ من الطبعة الثانية ترجم لفظ asthma بسعال بدلا من ربو . وفي ص ٨١ suggestion بالقابلية للاستهواء بدلا من إيجاء أو استهواء . وفي ص ١٥٥ diffidence بعدم الاهتمام بدلا من عدم الثقة

وتقترح في ص ٤٧ استعمال « مؤثرات » أو « تنبيهات » بدلا من « إحساسات » لأن الإحساس عملية نفسية بحتة فلا يمكن أن تصدر الإحساسات من الموقف . كما أنه يبدو لنا أن ما ورد في ص ١٢٧ عن عقدة النقص inferiority complex لا ينطبق على نظرية فرويد بل على نظرية أدلر وما قاله عن الشعور بالنقص . أما لدى فرويد فعقدة النقص لا تختلف عن عقدة الإخصاء castration complex . ثم تحدث المؤلف عن عقدة الأب وعقدة الأم ، ثم ذكر عقدة أديبوس وعقدة إلكترا كاتهما مختلفتان عن السابقتين ، مع العلم أن لافرق بين عقدة أديبوس وعقدة الأم وبين عقدة إلكترا وعقدة الأب .

وقد ميز الدكتور القوصى بين neurosis و psycho-neurosis بأن ترجم اللفظ الأول بمرض عصبي ، والثاني بعصاب نفسى . والفرق بينهما في اللغة الإنجليزية طفيف جداً إذ أنهما يشيران إلى أمراض نفسية ناشئة عن صراع نفسى لا عن إصابة عضوية في الجهاز العصبى ، في حين أن الفرق عظيم بين مرض عصبي وعصاب نفسى فالأول ينتج عن إصابة عضوية في المراكز العصبية وهو من اختصاص طبيب الأمراض العصبية ، أما العصاب فهو من اختصاص طبيب الأمراض العقلية أو المحلل النفسى .

ولا ندرى ما دفع الدكتور القوصى إلى ترجمة neurosis بمرض عصبي ، بدلا من عصاب أو من مرض نفسى ، خاصة أنه صرح في هامش ثبت المصطلحات « أن من الخير أن يترجم المصطلح بحسب معناه لا بحسب تركيبه اللفظي الحرفى » .

وأدت ترجمة neurosis بمرض عصبي إلى الخلط في عدة مواضع في الكتاب بين nervousness و neurosis عند تحدث المؤلف عن الحالات التي درسها (من ص ١٩٤ إلى ٢٠٩) .

ويبدو جلياً عدم توفيق المؤلف في ترجمة *neurosis* عند ما تقرأ في ص ١٢٥ وما بعدها ما كتبه عن إحدى الحالات الأولى التي عالجها فرويد مع زميله برويار : حالة الفتاة التي أصيبت بشلل ونسيت لغتها الأصلية وأصبحت تنقزز من شرب الماء . فقد عرض الدكتور القوصي هذه الحالة عرضاً جميلاً ممتعاً ، غير أننا نعتقد أنه شوه هذا العرض عند ما اختتمه بقوله : «... أصيبت الفتاة بمرض عصبي من أعراضه عدم القدرة على شرب الماء . » بدلاً من أن يقول ، بكل بساطة ، بمرض نفسي ؛ إذ أن عدم القدرة على شرب الماء راجع إلى عامل نفسي ، هو الشك ، لا إلى شلل في عضلات الفم والبلعوم إذ أن الفتاة كانت تروى عطشها بأكل الفواكه وبلغ عصارتها .

ويزداد ضيق القارئ بقراءة « مرض عصبي » في هذا الموضع بالذات عند ما يذكر أن فرويد نفسه صرح بعد أن زاول التحليل النفسي بقليل أنه لم يبدأ يفقه شيئاً في الأمراض النفسية إلا يوم نسى كل ما تعلمه عن الأمراض العصبية .

ربما يوجد هناك ما يبرر في نظر الدكتور القوصي ترجمة *neurosis* بمرض عصبي ، وهو أن هذه الترجمة أقرب إلي فهم عامة الجمهور من مرض نفسي أو عصاب . ولكن الواقع أن الجمهور قلما يدعن لقرار أخصائي الأمراض العصبية عند ما يشخص الشلل في أحد المرضى كأنه شلل تشريحي لا وظيفي ، فلا يزال يعتقد أن الحالة حالة نفسية فيلجأ إلى النوم المغناطيسي أو إلى محض الأرواح راجياً الشفاء للمريض عن طريق الوسائل النفسية . هذا لا يمنع أن كثيراً ما يختلط في ذهن الجمهور مدلولاً عصبي ونفسي ، وفي هذا — كما سبق أن قلنا — ما يبرر ترجمة *neurosis* بمرض عصبي ، أو ترجمة *nervous disease* بمرض نفسي .

ومهما يكن من أمر ، فإننا نعتقد أن هذه الأخطاء الصغيرة لا تقلل مطلقاً من قيمة هذا الكتاب النفيس ، فهى تتلاشى تماماً إذا نظرنا إلى المجهود العظيم الذي بذله الدكتور القوصي في كتابه أسس الصحة النفسية .

ملخص الآباء الأثر كيار — مرشد عملي إلى مشاكل الطفولة والمراهقة

تأليف فلورنس بودريك ولويزا جرايمز : ١٩٤٤ . ٢٥٦ صفحة

The Intelligent Parents' Manual — A Practical Guide to the Problems of Childhood & Adolescence. By FLORENCE POWDERMAKER, M. D. & LOUISE GRIMES. London, Heinmann. Medical Books, 1944. Pp. 256

يقع الآباء مهما حرصوا ودققوا في أخطاء تربية يكون لها أكبر الأثر في حياة أطفالهم المستقبلية ، وأن نوع العلاقة التي ينشئها الآباء بينهم وبين الطفل في سنى حياته بالكرة تحدد تحديداً حاسماً لا موقفه من المجتمع فحسب بل نجاحه أو إخفاقه في التعامل مع غيره من الناس . ولذلك يحسن بالآباء أن يقفوا على مبادئ التربية التي تؤمنهم على الأقل الوقوع في الأخطاء التي لا تحمد عواقبها . ولا شك أن كثيراً من المشاكل تعترضهم في تربية الطفل فلا يجدون لها حلاً . مثال ذلك : مص الأصابع ، التبول ، فقدان القدرة على التحكم في المثانة ، التهمة ، الشره وانعدام الشهية للطعام ، الأرق ، التأخر في تعلم الكلام والمشي ، الخوف من العفاريث ، أحلام اليقظة ، التأخر الدراسي ، الميل إلى التدمير ، والعداء الصريح للمجتمع . كل هذه مشاكل تصيب الأطفال ولا يستطيع الآباء أن يجدوا لها تفسيراً . والكتاب الذي بيدنا يحاول تفسير هذه المشاكل وغيرها مما قد يعترض الآباء أثناء قيامهم بمهمة التربية .

ويحاول الكتاب علاوة على ذلك أن يضع مبادئ عامة لو اتبعها الآباء في التربية أمنوا الوقوع في الأخطاء الخطيرة . فهو يرسم لهم مثلاً طريق التربية الدينية والأخلاقية . ويبين لهم ما يجب عليهم أن يصرحوا به للطفل عن حقيقة الولادة والموت ، متى وكيف يكون ذلك ؟ ويعلمهم كيف يحنون الطفل ومتاعب المراهقة ويمدون له يد المعونة في حل مشاكلها .

ويمتاز الكتاب بإيراده المبادئ الأساسية ، مؤيدة بأمثلة مختارة تبين كيفية تطبيقها تطبيقاً عملياً ، متجنباً الخوض في مناقشة النظريات أو المدارس السيكولوجية ، وبأنه يتناول بالبحث ، علاوة على حاجات الأطفال ومواقفهم ، حاجات الآباء ومواقفهم المختلفة إزاء الطفل . فهو دراسة عملية ترمي إلى تحقيق العلاقة السوية بين الآباء والأطفال ، بعرضه لنمو الطفل انفعاليا واجتماعيا وعقليا من الطفولة إلى المراهقة .

ويقع الكتاب في خمسة أجزاء هي مختلف مراحل النمو :

- | | | |
|------------------------|-------------------|----------------------------|
| ١ — الطفولة | ٢ — السنة الثانية | ٣ — من الثانية إلى السادسة |
| ٤ — سنى الدراسة الأولى | ٥ — المراهقة | |

ويناقد كل جزء مختلف النزعات والحاجات والمشاكل الخاصة بالمرحلة التي يدرسها. وفي نهاية الكتاب فصل خاص يشمل مختلف المعلومات عن الجمعيات أو الكتب أو العيادات أو المسكاتب الحكومية التي يستعين بها الآباء إذا حزبهم أمر في تربية أطفالهم ، ثم يختم بفهرس للأعلام والمصطلحات .

وكتاب جمع بين العرض العلمي والبعد عن الناحية الفنية والاهتمام بالتطبيق العملي ، لا يد أن يستفيد منه كل أب يريد أن يخلق من طفله لا إنساناً ناجحاً في مدرسته أو مهنته فحسب ، بل فرداً متوافقاً مع الجماعة ومواطناً صالحاً . ويساعد على بلوغ هذه الغاية أن مؤلفي الكتاب إحداها أخصائية في الطب العقلي وعليلة بنواحي الشذوذ التي تصيب الأطفال في سلوكهم وعوامل هذا الشذوذ ، والأخرى أم لعدة أطفال ، بليت بنفسها مختلف المشاكل ورأت بعينها الصعوبات التي قد تعترض أي أب أو أم أثناء القيام بعملية التربية .

هــبـر المـنـعم الطـبـيـبـي

تربية الأطفال المشكلين — تأليف جيلير روبان رئيس عيادة سابقاً بكلية الطب بباريس

GILBERT ROBIN. — L'éducation des enfants difficiles. Paris, 1942

عندما انهارت فرنسا في الحرب الأخيرة أخذ مفكروها في البحث عن أسباب تلك الهزيمة حتى يستأصلوا الشر من جذوره وقيموا من جديد صرح المجد للبلادهم على أسس متينة . وكان من الطبيعي أن تنجأ أنظار بعض رجال التربية إلى إصلاح التعليم حيث وجدوا أن النظام القديم قد فشل في تخريج رجال أقوياء تستطيع الأمة أن تعتمد عليهم في الملمات .

وكتاب « تربية الأطفال المشكلين » إحدى ثمرات هذا التفكير وقد ألفه الدكتور جيلير روبان في سنة ١٩٤٢ ونشرته دار النشر الجامعية الفرنسية Presses Universitaires de France في مجموعة « ماذا أعرف » « Que Sais-je » وهي مجموعة صدرت أثناء الحرب لتبسيط العلوم المختلفة وتقديمها للجمهور في كتب صغيرة الحجم سهلة المنال . والكتاب يقع في نحو ١٣٠ صفحة من القطع الصغير وقد استهله المؤلف بعرض موجز لمشكلة التعليم التي تواجه فرنسا الجديدة وصور لنا كيف أن المصيبة الكبرى التي لحقت

بفرنسا « ترجع إلى انحلال الروح الفرنسية أكثر مما ترجع إلى هزيمة حربية » وعلى هذا « فترية الشعب بأكملة يجب أن يعاد النظر فيها ولا يكون ذلك إلا إذا بدأنا من الأساس أي بإعادة النظر في تربية الطفل » . والإصلاح في نظر المؤلف إنما يبدأ بأن « يتجرد كل شخص من أفكاره الخاصة التي توحىها إليه عاطفته أو ميوله فإن ذلك قد أدى إلى القضاء على روح الدراسة الموضوعية وجعل كل فرد يتشبث بنظرياته ويرفض كل ما عداها » .

ثم يتطرق المؤلف بعد ذلك إلى موضوع كتابه فيشرح لنا ماذا نعني عادة بكلمة « أطفال مشكلين » ويصف لنا الطريقة التي يجب أن تتبع لتمييزهم . وفي الفصول الرابع والخامس والسادس والسابع والثامن يعرض لكل حالة على حدة ليدرسها بشيء من التفصيل فيحدثنا عن سوء التربية وعن الاضطراب الخلقي الذي يرجع لأسباب عاطفية وعن الأطفال الفاسدين وغير المستقرين instables . ثم يعرض في الفصل التاسع للصفات التي يجب أن تتوفر في المربي حتى يستطيع أن يقوم بمهمته على الوجه الأكمل فنراه يقول : « لا يشترط في المربي أن يكون عالماً وإنما يجب أن يكون ذا خبرة وفطنة وأن يحيط بدقائق علم نفس الطفل » . كما يجب بوصفه رئيساً أن يكون له سلطان على الطفل . وهذه السلطة يراها المؤلف واجبة فبدونها لا يكون لتعاليم المدرس وإرشاداته أي تأثير على الطفل . غير أن هذه السلطة يجب ألا تستغل للاستبداد بالطفل أو لتنفيذ مآرب خاصة . وفي الفصول الأخيرة من الكتاب أي من الفصل الحادي عشر إلى الخامس عشر يعرض المؤلف للطرق التي يجب أن تنهج لإصلاح الطباع المتمردة ويتحدث عن مشكلة العقوبات فيقول « لكي تكون العقوبة ذات أثر فعال يجب أن تلجأ إلى الوسائل العاطفية والأخلاقية أكثر مما تلجأ إلى الوسائل المادية » أي أنها يجب أن تتجه إلى إيقاظ ضمير الطفل وإشعاره بشخصيته وأن تبعث فيه روح المحافظة على كرامته . ويصف لنا الدكتور جيلير روبان أخيراً الوسائل الطبية والسيكولوجية لإصلاح النفوس المتمردة فيقرر « أن كل اضطراب خلقي يضطرنا إلى البحث عن مداه بالنسبة لمجموع شخصية الطفل وإلى اكتشاف الشكل الذي يؤثر به في تلك الشخصية » .

وهكذا نرى أن هذا الكتاب الصغير يلم إلماماً سريعاً بمسائل عدة في طريقة مبسطة دون التعرض للدراسات الكلينيكية الدقيقة ، فقراءته وإن كانت تعطى فكرة عامة عن الموضوع إلا أنها لا تغني عن الرجوع إلى الكتب العلمية المحضة لمن يريد التوسع في دراسة الموضوع .

الأدوات والألعاب التثقيفية - استقصاء لطرق التربية الحديثة - للدكتور جميل محفوظ

Dr JAMIL MAHFOUZ. — Le Matériel et les Jeux éducatifs. Examen des méthodes d'éducation nouvelle. Presses Universitaires de France, Paris 1945.

يسرني أن أقدم للقارئ هنا موجز الرسالة التي قدمها صديقي الدكتور جميل محفوظ عضو بعثة الحكومة السورية للسوربون ونال بها إجازة الدكتوراه مع مرتبة الشرف . ولا شك أن ما دفع الزميل إلى اختيار هذا البحث هو ما رآه من عيوب المدرسة التقليدية التي تضطر الطفل إلى الخضوع لنظم وقوانين ومناهج لا تتفق مع طبيعته وميوله؛ وشعوره بالحاجة إلى إصلاح بيداغوجي شامل يقبل المناهج الحالية رأساً على عقب ويغير الروح والطريقة المتبعين في تعليم الطفل . فالكتاب عرض وتحليل لطرق التربية الحديثة مع مقارنة طريقة منتسوري ودكرولى بطريقة المدرسة الفرنسية مما دعا المؤلف للقيام بزيارات استطلاعية في رياض الأطفال بالعاصمة الفرنسية جمع فيها ملاحظاته الشيقة التي أوردها في كتابه . والفكرة الأساسية لهذا الكتاب تدور حول اعتبار الطفل وحدة قائمة بذاتها له تفكيره الخاص وعقليته الخاصة ومنطقة الخاص . وقد أصبحت هذه الفكرة من الشيوع بحيث لم تعد تحتل الشك وترتب عليها الاعتراف بأن نشاط الطفل يرتبط ارتباطاً وثيقاً بمصالحه الحالية ، وأن العمل الذي يقوم به الطفل يكون أبعد أثراً في نفسه إذا اتخذ صورة الألعاب المختلفة التي يمارسها من تلقاء نفسه . وتطبيق هذا المبدأ يوقظ إهتمام الطفل ويوسع أفقه تدريجاً وينظم نشاطه ويوجهه إلى طريق المعرفة المطردة . فلا يقتصر الأمر إذاً على ترك الطفل في طفولته وإنما على العكس يستفاد من هذه الطفولة وما تتميز به من طابع خاص ، وهو حب اللعب ، في الحصول على مجهود تلقائي متواصل يدفع الطفل دائماً إلى أن يرقى بنفسه . فالألعاب التثقيفية إذاً تفسح المجال لنشاط ذلك الخلق الصغير الذي لا يستطيع أن يعدل فكرته أو يغيرها إلا عن طريق التحقيق المادي . والتجربة المباشرة ، ولا يستطيع أن يعدل فكرته أو يغيرها إلا عن طريق التحقيق المادي . وقد شرح لنا الدكتور محفوظ في كتابه كيف تنتقل بواسطة الألعاب المختلفة من تربية الحواس إلى التربية الفكرية الصرفة ، وشرح لنا كيف تمهد الخطوة الأولى للثانية عن طريق الانتقال من الحسى إلى العقلى ومن الشئ إلى الرمز الذي يعبر عنه . ففي الواقع ليست هناك تربية حسية صرفة فكل لعبة يمارسها الطفل هي تدريب فكري إذ تهيء له فرصة المقارنة والتمييز وعمل المجموعات وترتيبها وتحليل الأشياء ومعرفة العلاقة بينها وكيفية تركيبها ، وما من شك في أن كل هذه العمليات عمليات عقلية .

وينقسم الكتاب إلى قسمين كبيرين الأول يبحث في التربية الحسية ويضم عدة فصول شرح المؤلف فيها الألعاب المختلفة التي ابتكرتها مدام منتسوري والتي ابتكرها دكرولى لتربية الحواس المختلفة ، ثم أعقب ذلك بشرح الأدوات التي اقتبستها المدرسة الفرنسية لكي تلائم طبيعة الطفل الفرنسي ونوع عقلية . أما القسم الثانى فيبحث في تنمية النشاط الفكرى وفيه يشرح المؤلف الأدوات المختلفة التي تستخدم لتعليم الأطفال القراءة والكتابة والحساب ، ويعقد في هذا القسم فصلاً ممتازاً عن نظرية دكرولى في تعليم القراءة وهي النظرية التي تقوم على « الوظيفة الكلية » عند الطفل Fonction de Globalisation ولا نجد في تقرير الكتاب أبلغ من هذه العبارة التي يختم بها الأستاذ جيوم Guillaume تقديمه للكتاب « لقد جمع الدكتور محفوظ ملاحظاته في كتاب واضح غزير المادة فأعطى بذلك فرصة نادرة للمربين ليطالعوا على طرق جديدة يستطيعون الاستفادة بها في جعل دروسهم أكثر حيوية وأعم نفعاً » .

الدكتور السيد محمد بدوى

منه الفصل الى الفكر — بحث في علم النفس المقارن . تأليف هنري فالون

باريس ١٩٤٢ ، ٢٥١ ص

HENRI WALLON. — De l'Acte à la Pensée, Essai de psychologie comparée . pp. 251 Flammarion Paris 1942

لعلم النفس العام ركنان متينان يعتمد عليهما ليجدد مادته ويزداد تعمقاً ودقة في دراسة الوظائف النفسية : علم نفس الطفل من جهة ، وعلم النفس المرضى من جهة أخرى . فالأول يسمح بتربح بزوغ الوظائف النفسية وتتبع نشأتها وتطورها بحيث يشاهد العالم عمليات التأليف والتكامل في أثناء سيرها الحى . أما الثانى فإنه يمكن من تحليل الوظائف خلال انحلالها البطئ ، أو في أثناء تفككها السريع . وللدكتور هنرى فالون ، أستاذ علم نفس الطفل في السكوليج دي فرانس ، كتابان حديثان يتناولان جانباً هاماً من حياة الطفل العقلية وهو جانب نشأة العقل ونمو القدرة على التفكير والاستدلال .

ويتناول الكتاب الأول (١) المراحل المؤدية من الفعل إلى الفكر أو بعبارة أخرى من الذكاء العملى إلى الذكاء التأملى . ويقصد بالذكاء العملى القدرة على التكيف أو على حل مشكلة عملية بدون استخدام التفكير أو التصورات الذهنية ، بل بالاعتماد فقط

(١) الكتاب الثانى هو « نشأة الفكر فى الطفل » وسيرد ذكره فى هذا الباب ص ١٧٨

على إدراك الموقف وفهمه فهما عملياً ، إما مباشرة أو بعد محاولات تؤدي إلى تنظيم الوقف في الإدراك تنظيمًا جديدًا . ويطلق فالون على هذا الضرب من الذكاء اسم « الذكاء المنكافي » قاصداً بهذه التسمية أن الشخص بدوافعه ورغباته يكون مع المجال الإدراكي كلا واحداً ، وفي هذه الحالة يكون السلوك ، الذي يرمى في العادة إلى إرضاء رغبة عاجلة ، مقيداً بالظروف الراهنة .

ويكون ذكاء الحيوان ذكاء عملياً بحتاً وكذلك الطفل قبل أن تقوى لديه ملكة التصور الذهني والتفكير وقبل أن يتعلم استخدام رموز اللغة . أما الذكاء التأملي فهو الذي يعتمد في خطواته على استخدام التصورات الذهنية والرموز اللغوية .

وينقسم الكتاب إلى ثلاثة أقسام . فالقسم الأول يعرض لأصلح منهج لدراسة الذكاء العملي في الحيوانات والأطفال وهو بدون شك المنهج الموضوعي . غير أن الدكتور فالون يتجنب الأخطاء التي وقعت فيها المدرسة السلوكية فلا يفسر السلوك بإرجاعه إلى عوامل فسيولوجية بل يعتبر أن الظاهرة السيكولوجية يجب أن تفسر بمدلولات سيكولوجية . وهو يقرر وجود مراتب تصاعدية تلتزم الظواهر الطبيعية المختلفة ، كما يقرر أن كل مرتبة لا يمكن استقصاء تفسيرها إلا في ضوء المرتبة التي تكون أعلى منها . وعلى ذلك يقول بأن مظاهر الذكاء في الحيوانات العليا تنطوي على ما يشير إلى ما سيكون عليه ذكاء الطفل والإنسان ، وفي الوقت نفسه يعتبر أن ذكاء الإنسان يختلف اختلافاً جوهرياً عن ذكاء الحيوان فلا يمكن إرجاعه إليه ، كما أن المجتمع لا يكفي أيضاً لتفسير خصائص العقل الإنساني . ويمكن تلخيص موقف الدكتور فالون في تفسير الظواهر السيكولوجية بالقول بأن التطور الذي يصل بين الفعل والفكر يجب أن يفسر في نفس الآن بوساطة « المقابل » و « المثل » أي بما يشبه الظاهرة وبما يقابلها في الآن نفسه . ويوضح لنا الدكتور فالون نظريته في القسم الثاني والثالث من كتابه حيث يعرض إلى المقدمات الحسية والحركية للفكر وإلى أصول الفكر الأولية . ففي القسم الثاني يتحدث عن المراحل الأولى التي ستبزع خلالها قدرة الطفل على التصور الذهني ، كما يحدثنا عن أثر المحاكاة في بزوغ هذه القدرة . وبما أن المظاهر الاجتماعية تفيد في فهم طبيعة العقل ، كما تفيد معرفة طبيعة العقل في تفسير المظاهر الاجتماعية ، يعرض المؤلف لأوجه الشبه الموجودة بين الطقوس والعادات الاجتماعية — وهي إلى حد ما بمثابة تفكير جمعي — وبين التصورات الذهنية الصادرة عن نشاط العقل الفردي .

فأما القسم الثالث فإنه يوضح العلاقة الموجودة بين المدلول به والمدلول أي بين الأثر أو الأمانة أو العلامة أو الرمز أو الكلمة وبين معنى كل منها . ثم بعد التحدث عن

التفكير « الإجمالي » السابق علي التحليل ، كما هي الحال في تفكير الطفل ، يختتم كتابه بتفصيل القول في شروط الفكر الأولية .

قد يبدو لقارئ الكتاب أن الدكتور فالون — وهو دكتور في الآداب ودكتور في الطب — فيلسوف أكثر منه عالم . الواقع أن الدكتور فالون عالم ، بكل معنى الكلمة ، أي أنه يعتقد — كما يجب أن نعتقد — أن التفسير العلمي لا يتم ولا يكمل إلا إذا ارتقى إلى مستوى النظرية التي تفسر أكبر عدد ممكن من الوقائع بأقل عدد ممكن من القضايا والقوانين . وإذا شاء بعضهم أن يعتبروا النظرية العلمية ضرباً من التفكير الفلسفي « النظري » فليس في هذا ما يعيب العلم وخدامه ، إذ أن من طبيعة العلم أن تنصب روافده في جدول الفلسفة التي ترمي إلى توحيد المعرفة عمقاً ومدى وإذا كان يحق لأمثال أينشتاين وجينس وإدنجتون من علماء الطبيعة أن « يفلسفوا » علمهم ، أليس علماء النفس أحق من غيرهم بأن يفلسفوا علمهم الذي يتناول دراسة العقل ، أي الأداة التي تمكننا من معرفة الطبيعة ومن معرفة أنفسنا ؟

ي . م

نشأة الفكر في الطفل — تأليف هنري فالون

باريس ١٩٤٥ جزءان ٣٠٧ ، ٤٤٩ ص

HENRI WALLON. — Les Origines de la Pensée chez l' Enfant
2 vol. pp.357 & 449. Presses Universitaires de
France, Paris 1945.

جمع المؤلف في كتابه « نشأة الفكر في الطفل » محاضرات كان ألقاها في الكوليج دي فرانس ومحاضرات كان يلقيها لو لم تعطل دروسه — بقرار من الحكومة — أثناء الاحتلال الألماني . وقد وقفه على دراسة بواذر الذكاء التعبيري أو النظري عند الطفل ؛ خصوصاً فيما يتعلق بالفترة فيما بين السادسة والثامنة أو التاسعة أي السنوات الأولى من السن الدراسية . إذ المجال فيما قبل هذه السن هو مجال نمو الذكاء العملي — سواء في صورته النافعة أو الخبيثة — منذ أن يتعمد الطفل في سن الثالثة على كل مشاركة تعممه قليلاً أو كثيراً فيما يحيط به ، ومنذ أن ينتزع الانا الخاص به ، فيؤكد وجوده ويعززه بكافة حقوقه . ومن هنا ميز المؤلف منذ البدء بين نوعين من الذكاء ، أحدهما نظري والآخر عملي ، تقدمت دراسته كثيراً في هذه السنوات. بفضل علم النفس السلوكي ، بعد أن كان يرد إلى الذكاء النظري من قبل كل فعل للذكاء .

والسفر الأول من هذا الكتاب طريف كل الطرافة — تناول فيه المؤلف بالدرس والتحليل « الوسائل العقلية » مزودة بكثير من الاختبارات والتجارب التي أجريت على الأطفال في أعمار مختلفة ، في السادسة وما بعدها . وعرض أول الأمر إلى صعوبات هذا البحث وأهمها ضعف الصلة بين الأطفال ومحدثهم ، مما لا يرجع إلى عجزهم عن الاتصال وجدانياً بالآخرين ؛ فإننا نرى الطفل في كثير من الأحيان يقطع عمله ليرقص طرباً بالنتائج التي حصل عليها ، وليعجب ويسر بنفسه ، ويطلب إلى الآخرين أن ينظروا إليه وهو يعرض نشاطه ؛ وإنما هو على غرار الحشرة ، يعلق تنفيذ ما يفعل على النتائج التي يحصل عليها ، أو على جزء صغير مما يوشك أن يتحقق . كما أن موقفه هذا من المخاطب يتخذ فيما بعد صورة السكوت عما يوجه إليه من أسئلة ، ثم يلجأ بعد إلى المعارضة سواء بنفي كل ما يسأل عنه أو بالتجاهل والعجز مما توسع فالون في بيان وجوهه ونفيض به تجاربه . ثم ينتقل إلى ما يعترى عقل الطفل من قصور يظهر في صورة تعويق أو انقطاع أو استمرار هو الشق المتمم لهذا الانقطاع .

ومن بين هذه الصعوبات الطابع الإضماري للتفكير عند الطفل ، مما هو نتيجة للقصور العقلي — كما في اللغة — وحينئذ يكون سببه أن العلاقات بين الأشياء والأصوات فيما بينها غير مستوعبة جيداً — حتى لا يستطيع عقل الطفل أن يميز الفروق التي تسمح له بتحديد الأفعال والغايات ، وبالتالي في التعبير عنها . ويترتب على ذلك إضمار وإلغاء ظروف هامة في مجرى عملية التفسير هذه . وكذلك الحال في الأخيلة والصور الذهنية . وللتفكير عند الطفل أيضاً طابع التفكك كما أن لتجاربه طابع التناثر . فالطفل يفكر في مجموعات صغيرة منفصلة ، بمعنى أن تفكيره حتى حين يمتد إلى مرحلة معينة من الظروف والأفكار يشمل مضموناً محدداً من حيث التجميع — فتفكيره إذن جزئي *moléculaire* ولكن أهم ما يقرره فالون في هذا الباب هو أن للتفكير عند الطفل طابع الشائبة في التركيب *structure binaire* بمعنى أن ما يمكن أن نقرره في أصل التفكير هو وجود عناصر زوجية *éléments couplés* وأن الزوج *couple, paire* كعنصر للتفكير سابق على الوحدة . وهو يعرف التركيب الثنائي للتفكير تعريفاً سلبياً بقوله إنه صورة للتفكير يعطى لها أو يضع حداً لها التفكير الناضج أو تفكير البالغ — والمؤلف كثيراً ما يقارن تفكير الطفل بتفكير البالغ — فهذه المقارنة عنده هي كما يقول في الخاتمة العامة للكتاب الثاني ، سبيل دراسة تفكير الطفل . وعلى أي حال فهو يعنى بالازدواج أو الاقتران في تفكير الطفل ما عسى أن يكون في ذهنه من ترابط بين حدين أو لفظين يؤلف بينهما إما بعدم تمايز في إدراكهما — كالسماء والذهب — والشمس والقمر — أو القمر

والليل — والهواء والبارد . . . إلخ أو بتشابه النطق فيهما كما في terre و ver في الفرنسية — وكذلك بين en feu و enfer — وعلى الطفل كما يقول المؤلف ، أن يتخلص فكره من هذا التركيب الثنائي الذي يوقعه كل مرة بين لفظين متشابهين حتى يستطيع أن ينتهي بدقة أكثر إلى تمييز الأشياء (ص ٤٩)

والقسم الثاني من هذا الكتاب يعالج فيه المؤلف مناقضات ومفارقات في معرفة الطفل التي تصدرها الحقيقة في تجربته الشخصية وما يتلقنه مما يحيط به — وبينهما تعارض (١٣٨) وليس فقط أن الطفل بصدد معارف مختلفة في أصولها ، بل إنه ليختلط عليه كذلك التجريب والأسطورة — والأسطورة والتجربة العادية — كما يتعذر عليه أن يفصل فكرة العلل عن فكرة الأشياء — وغير ذلك من صعوبات الترابط العقلي التي يعرضها المؤلف بالتفصيل في الفصل الثالث من هذا القسم

وتفكير الطفل في أصوله لا يقوم على غرار الأفكار التي يعبر عنها البالغ ، التي يبدو أنها ترتبط ارتباطاً منظماً في دائرة محددة أو أنها تتتابع وفقاً للمدلول المحدد الذي يبدو لكل منها في الأشياء وصفاتها وعلاقاتها وأفعالها التي تقوم بها . ولكنه مفطور على العكس من هذا — على البدء من تأثرات تقوم غير متمايزة في مختلف ميادين الحساسية . والتذكر والتجربة والوجدان العقلي . وهذا ما يسميه المؤلف بالتفكير الإجمالي Synchrétisme وما يعرض له في شتي ظواهره وانحرافات في القسم الثالث من الكتاب .

وذلك هو تلخيص سريع للكتاب الأول من هذا الأثر الضخم ، لا يغني عن قراءة بقدر ما يحفز على الإقبال عليه ومطالعة . فإن هذا الكتاب يكاد يذهب مذهباً جديداً في طريقة تناوله للمسائل النفسية عند الطفل وتحليلها وتفسير تجاربها ، مع ميل ظاهر إلى الفلسفة سواء في صعوبة مصطلحاته أو في تصنيف موضوعاته .

كمال دروفي

مصدر الزمان — تأليف رينيه زازو — باريس ١٩٤٦ — ١٦٠ صفحة

RENÉ ZAZO. — Le devenir de l'intelligence. Presses Universitaires de France, Paris, 1946. Pp. 160.

من العلوم الحديثة التي تمخضت عنها الحركة العلمية في علم النفس منذ نصف قرن ، علم الأقيسة السيكولوجية psychométrie الذي اتخذ في مرحلته الأخيرة الرياضيات كوسيلة لتحليل الوظائف العقلية . وكان هذا الاتجاه الجديد يعتبر — ولا يزال يعتبر في نظر

بعضهم — ضرباً من الصناعة التي تشوه الواقع النفسى وتحطمه . وكانت المعارضة قوية في صف علماء النفس الميتافيزيقيين الذين يعتبرون طبيعة النفسيات منافية لكل تقدير كمي . والواقع أن الوسائل الإحصائية طبقت بنجاح في دراسة الوظائف العقلية أو بعبارة أدق عوامل العقل . غير أن الاتفاق لم يتم بعد بين علماء هذا العلم الحديث ولا يقتصر الخلاف على الوسائل الرياضية التي يجب تطبيقها في تحليل عوامل العقل ، بل يتناول أيضاً طبيعة العقل بوجه عام وطبيعة الذكاء بوجه خاص . فلا بد من حين إلى آخر إلقاء نظرة شاملة على النظريات المختلفة ، والتحرر من قيود التخصص الضيق للكشف عن الاتجاه الرئيسى الذي قد يؤدي إلى توحيد النتائج الجزئية في نظام تأليفى جديد . وهذا ما حاول تحقيقه رينيه زازو في كتابه « مصير الذكاء » . والمؤلف ممن جمعوا بين الثقافة الفلسفية والثقافة العلمية ، كما أنه زاول تطبيق اختبارات الذكاء في أمريكا وفرنسا .

وينقسم الكتاب إلى قسمين : الأول في نشوء الذكاء ، والثانى في قياسه .

والمنهج الوحيد المجدى لحل المشكلة الأولى هو المنهج التكويني المقارن . ولذلك نرى المؤلف يناقش مختلف النظريات التي قيلت في تطور الذكاء من الحيوان إلى الطفل ، ومن الطفل إلى البالغ ، ومن الرجل البدأى إلى المتحضر . ويلاحظ في القسم الأول أن مدلول الذكاء لا يختلف كثيراً عن مدلول العقل . فعندما يتحدث عن بحوث علماء نفس الحيوان والطفل يكون لفظ Intelligence أقرب إلى معنى الذكاء منه إلى معنى العقل ، وعندما يتحدث عن علماء الاجتماع تقترب دلالة اللفظ من معنى العقل كما يفهمه الفلاسفة . والنتيجة النهائية التي يصل إليها المؤلف هي أن الذكاء الإنسانى لا يخرج من الذكاء الحيوانى كامتداد له ، بل هناك فروق جوهرية بينهما وأن ما يميز الذكاء الإنسانى القدرة على استخدام الرموز والمعاني وتكوينها وخلقها ، والتحرر من قيود الحاضر ومن قيود المكان المادى المحدود . وكذلك لا يمكن إرجاع العقل الإنسانى ومبادئه إلى النظام الاجتماعى . وقد أثبت المؤلف في كتابه بعض نصوص العالم الاجتماعى دور كيم Durkheim تدل على أن دور كيم كان يسلم بأن التصورات الفردية سابقة على التصورات الاجتماعية . فلا العامل البيولوجى الحيوانى ولا العامل الاجتماعى كاف كل منهما لتفسير العقل ، فلا بد إذن من مواجهة هذه الحقيقة السيكلوجية وهي العقل ، واعتبارها متميزة عن شروطها البيولوجية والاجتماعية ، ودراستها دراسة علمية تجريبية باستقصاء جميع شروطها وعواملها ، منها الذاتية الخاصة بها ، ومنها المعاونة لها كالشروط البيولوجية والاجتماعية . أما إرجاع العقل الإنسانى إلى ماهو أدنى منه وأبسط كالعقل الحيوانى ، أو إلى ما يعتبره

بعضهم أعلى منه وأسبق كالعقل الجمعى فهو حل عن طريق التبسيط ، في حين أنه من واجب العالم ألا يجهل الفوارق في سبيل إبراز أوجه الشبه خُصب .
 أما القسم الثاني من الكتاب فيتناول موضوعاً هاماً لا يزال مثاراً لمناقشات علماء النفس ، هو موضوع قياس الذكاء . ويميز المؤلف ثلاث نواحي للذكاء وهي المستوى والقدرة والأسلوب . وتبدو الاختبارات المستعملة لقياس الذكاء كوسيلة ناجحة لدراسة الذكاء من الوجهة التجريبية — تحديد المستوى والقدرة — ومن الوجهة الإكلينيكية أى تحديد الأسلوب . فلا يكفى لتقدير الذكاء اعتبار نتائج الاختبار دون الوقوف على شخصية المختبر ومحاولة فهمها كنظام ديناميكى تتفاعل داخله مختلف المقومات ومنها الذكاء . ولذلك لا يمكن اعتبار الذكاء أمراً ثابتاً أو وظيفة واحدة غير قابلة للتطور ، بل هو ضرب من السلوك بأكمله وهذا ما أبرزته بحوث سيرمان وهولزنجر في تحليل عوامل الذكاء تحليلاً رياضياً .

ويلاحظ المؤلف أن تطور المناهج في قياس الذكاء سائر تطور الذكاء في الفرد ، فإذا كان من السهل قياس ذكاء الطفل الصغير بواسطة اختبار واحد فهذا يرجع إلى أن العامل العام أثراً أقوى وأوضح من أثر العوامل الخاصة . ومع تقدم السن يفقد العامل العام شيئاً من أهميته وتأخذ القدرات الخاصة في الظهور ، أى أن الذكاء يأخذ في التنوع والتمايز وأن نموه ينطوى على فوارق كيفية لا فوارق كمية خُصب . ويجب التفريق بين استقلال الوظائف العقلية النسبي كما يظهر في الطفل الصغير أو في ضعيف العقل وبين تخصص الوظائف . فالاستقلال النسبي يرجع إلى نقص في التكامل . أما التخصص فهو على العكس تنظيم وتكامل . ففي كل ضرب من ضروب نشاطه المختلف وسلوكه الواقعي ، يعمل الإنسان بكل وسائله وبكل قدراته ، بحيث لو وقع نقص في ناحية ما ، عوض هذا النقص قبل ظهور آثاره . وترجع مرونة الذكاء إلى عمليات التعويض ، وهذا ما يميز البالغ عن الطفل والسوي عن ضعيف العقل .

وميزة الكتاب الرئيسية أنه يحمل على التفكير والتأمل ومراجعة بعض الآراء العلمية القاطعة لتقريبها من تعقد الواقع وراثته .

دراسات التحليل النفسي للطفل كتاب سنوى نشر باشراف أوتو فنيكيل ١٩٤٥

«The Psychoanalytic Study of the Child». An Annual, vol. I. 1945, Ed. by Otto Fenichel and others, International Universities Press, New York, Pr. 423, Price \$ 6.00.

هذا هو الكتاب السنوى الأول الذى أصدره فريق من كبار المشتغلين بالتحليل النفسى في أمريكا وإنجلترا . وهو فيما نعلم أول عمل دورى منتظم يصدر باللغة الإنجليزية في دراسة الطفولة على مذهب التحليل النفسى ، وإن كان اهتمام هذه المدرسة باكتشاف الأعوار النفسية للطفل ظل متصلاً ومطرداً منذ بدأ فرويد يرود الطريق إليها لأكثر من ثلاثين سنة خلت .

ويقع الكتاب في ستة أبواب ، يحتوى كل منها على بضعة فصول . وتعالج هذه الأبواب المشكلات التكوينية في الطفولة ، ومشكلات تحليل الطفل وترقيه ، كما تعالج توجيه الطفولة (وكذا أيضاً توجيه الكبار) ومشكلات التربية والحياة الجماعية . فهو على هذا النحو يعالج جانباً كبيراً من حياة الطفولة ومشكلاتها من الوجهتين النظرية والعملية على السواء وإن الآفاق الواسعة التي تمتد إليها البحوث القيمة في هذا الكتاب لتبتدى في صورة واضحة إذا ذكرنا أنه من الناحية النظرية مثلاً يبحث في المشكلات الأساسية لعلم النفس التكويني كما يعالج مشكلات العلاقات المتشابكة للثقافة وتنشئة الطفولة ، ومن الناحية العملية أو العلاجية يتسع نطاقه من تحليل الطفل إلى توجيه الطفولة والعمل الجماعى . كما أننا نرى فيه ، وخاصة في بحوث الكتاب الأمريكيين ، تلك النزعة التي ترى على أشدها في الولايات المتحدة نحو اتصال مذهب التحليل النفسي بالمدارس الأخرى في علم النفس وبعض فروع العلم كالاقتصاد والأنثروبولوجيا .

وسيتيح ظهور الكتاب سنوياً للمشتغلين بالطفولة والمعنيين بمشكلاتها فرصة فريدة لتتبع أحدث البحوث في علم نفس الطفل ، كما سيمدهم بمراجع قيم يحتوى آخر التطورات في هذا الفرع النامي من فروع الطب العقلي ، وسيجعلهم ، أنى كانوا ، على اتصال مستمر بجهود العلماء في البلاد التي تعرف قدر الطفولة في مستقبل الحضارة ، وتدرّك الدلالة الخطيرة لاعتلالها وانحرافها .

إن سلامة المجتمع ، بل الحضارة ، لتتوقف على مدى التبصر بما لاختبارات الطفولة وأزماتها في تقرير الشخص الذي سوف يكون . وإن مجتمعنا الحديث ليحمل الطفولة أعباء ثقلاً من القلق والتوجس والخوف والكرهية وفقد الأمن وغيرها

من بذور العلة والانحراف . فواجب الدين يعينهم مستقبل هذه الحضارة ، وكل مثقف يحمل في عنقه جانباً من ذلك الواجب — أن ينهوا الأذهان إلى أهمية هذه السنوات التكوينية الحاسمة في حياة الإنسان ، وليس أخلق بالذي يريد أن يتوقى العلة فيما بعد من أن يتوفر على تقصى أسبابها في الطفولة وبواكير الحياة حتى يمهّد بذلك لنقل استبصاره من المعرفة النظرية إلى التطبيق العملي .

وإن كتاب « دراسات التحليل النفسي للطفل » محاولة مفيدة بغير شك لإقامة علم الصحة العقلية على دعامة أثبت في فهم الطفولة . كما أنه مساهمة فعالة ومشكورة للكشف عن بذور الاعتلال النفسي والعقلي في تلك المرحلة ، التي يعد الكشف عنها ، والتحرر منها ، من الضرورات الأساسية للحياة الفردية والجماعية الآمنة والبناء الاجتماعي السليم

صبرى مرمسى

الزواج النفس والظواهر — تأليف الدكتور إدمند برجلر . ١٦٧ . من ١٩٤٦ .

EDMUND BERGLER : Unhappy marriage and divorce. International Universities Press, New York. pp. 167, 1946.

الدكتور برجلر طبيب مشهور ومحلل نفسي من المبرزين في هذا الميدان . وقد وقف سنوات طويلة على دراسة الدوافع اللاشعورية لاختيار الزوج ، كما أنه عنى بأسباب الفشل والحياة في الزواج ، مما يؤدي إلى تحطيم الأسرة وتشريد الأطفال ، تشريداً معنوياً وخلقياً علي أقل تقدير . ومن بين بحوثه الحديثة المتعة ما نشره في عدد أكتوبر سنة ١٩٤٥ للمجلة الأمريكية للعلوم الطبية عن نوع التوافق الذي يتم بين أسلوبين من السلوك العصائى ، مما يدفع العصائى إلى اختيار زوج عصائى مثله . ويبدو للدكتور برجلر أن الحياة الواقعية أشبه بكتاب في الأمراض النفسية : فالشخصان العصائيان يفتقدان بعضهما بعضاً ، ويبحث الرجل العصائى عن المرأة العصائية التي تكمله . وتكون الصلة التي تربط بين الزوجين العصائيين قوية وثيقة على الرغم من الشجار والصراخ والشكاوى والدموع .. إذ يجد كل منهما المجال فسيحاً لخلع دوافعه اللاشعورية على الآخر ، كما يجد الفرصة لإنزال العقاب على نفسه من حيث لا يشعر ، إرضاء لشعوره بالإثم .

ذلك هو أسلوب المؤلف في تحليل العوامل الخفية التي تسيطر على الإنسان في اختياراته

وميله وتصرفاته . وفي هذا الكتاب الجديد يطبق هذا الأسلوب في الكشف عن أسباب الشقاء بين الزوجين . وليست الأسباب الحقيقية تلك التي بتدفع بها أحد الزوجين لطلب الطلاق ، كالسكر وسوء الأخلاق والخيانة وعدم التوافق الجنسي وما إليه ؛ بل إن جذور الخلاف تمتد إلى أعظم من ذلك ، تمتد إلى طفولة كل من الزوجين ، إلى أساليب السلوك المنحرف العصبي التي تكونت في الطفل من حيث لا يشعر .

وهذه الأساليب المنحرفة هي التي أدت إلى اختيار الزوج . ويترتب على هذا الاختيار هذا الموكب التعس من المتاعب والشكاوى التي تكاد تصاحب كل لحظة من لحظات الحياة الزوجية . فيعرض المؤلف بكل لباقة إلى تحليل الخيانة والغيرة والقسوة وضروب الزواج التي تبعثها المنفعة المادية أو الطموح الشخصي أو العناد أحياناً أو شتى المبررات .

ويتناول المؤلف أنواع الصراع الجنسي الذي ينشأ بين الزوجين ، محللاً أسباب العنة وفتور الميل الجنسي وشتى الانحرافات الجنسية التي تقوم حائلاً بين سعادة الزوجين ، مبيناً كيف أن هذه الانحرافات تعبر عن أسلوب الشخص المريض في معالجة أمور حياته الخاصة والعامة .

ويرى الدكتور برجل أن الطلاق لا يعتد حلاً للشقاء الزوجي ، إذ أن المطلق سيظل أسير أسلوبه المعوج وضحية عقده اللاشعورية التي لا زالت قائمة ، هذا فضلاً عما يصيب الأطفال من صدمات نفسية عميقة من جراء حرمانهم من عطف الأم أو من رعاية الأب ويخلص المؤلف من بحثه إلى أن الزواج السعيد يقوم على أساسين اثنين لا غير : حب رومانتيكي ، أي حب لا تشوبه شائبة الاعتبار المادية البحتة ، ثم علاقات جنسية سليمة تؤدي إلى إرضاء كل من الزوجين بتحقيق الانسجام الجسمي والروحي معاً . فالشخص العصبي عاجز عن أن يستشعر الحنان والحب وعن أن يفهم معنى التعاون والتضحية المتبادلة . وإن من أقوى أسباب الشقاء الذي تعانيه الإنسانية المتحضرة زوال هذا الحب الشعري الذي يعلو بالنفس البشرية على أجنحة الخيال والمثل العليا .

كما يقرر المؤلف في خاتمة كتابه أن الزواج وبالتالي تأسيس الأسرة على أواصر متينة دأمة من الحب والتفاهم لا يزال الركن المتين لإقامة المجتمع وتحقيق سعادة أفراد .

علم النفس وتطبيقه على التربية — تأليف الأستاذ فاخر عاقل ٣٣١ ص . مكتبة العلوم والآداب بدمشق ، ١٩٤٥

يحتوى هذا الكتاب على برنامج علم النفس لطلاب المدارس التجهيزية ودور المعلمين في سوريا . وهو مجهود كبير جدير بكل ثناء إذ وفق المؤلف في كثير من فصوله الخمسة والعشرين إلى عرض مسائل علم النفس بوضوح وعمق ، دون إغفال التفاصيل العلمية الحديثة مما يدل على سعة اطلاعه . ومما هو جدير بالذكر عناية الأستاذ عاقل بتفصيل القول في الوظائف العقلية العليا ، كما وقف ستة فصول من كتابه على دراسة الانفعالات ، فبعد أن عرض لمشكلة الانفعال ، أو الهيجان حسب تعبير المؤلف ، عرضاً عاماً تناول بالتفصيل في ثلاثة فصول متتالية انفعال الغضب ثم الخوف ثم الحبل . ولم يفته أن يشير إلى الناحية العملية في توجيه الانفعالات وعلاج مظاهرها المنحرفة أو العنيفة .

غير أنه يبدو لنا أن بعض الموضوعات الهامة في علم النفس التربوي لم يوفها المؤلف حقها من التفصيل أو الإيضاح كموضوع الذكاء وموضوع التعلم . ففيما يختص بالتعلم مثلاً يكتفى صاحب الكتاب بعرض قوانين ثورنديك في التعلم دون مناقشتها ودون الإشارة إلى ما وجهته إليها من نقد مدرسة الجشطالت ، ودون أن يفتن إلى أن ثورنديك نفسه أدخل على نظريته الأولى كثيراً من التعديل .

وبعد نريد أن نشير إلى توفيق المؤلف في إبراز عناوين الفقرات والمواضيع الهامة باستخدام خط الرقعة مما يساعد الطالب على الوقوف على أهم النقاط ومراجعتها بسهولة .